شيزوفرينيا الواقع

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
ببلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
Books ـ ببلومانيا
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

شيزوفرينيا الواقع

القدر المظلم

روايتان لـ

خميس لولو

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

نوع العمل: رواية

اسم العمل: شيزوفرينيا الواقع

اسم المؤلف: خميس لولو

تدقيق لغوي: فريق ببلومانيا

اعداد ومراجعة: فريق ببلومانيا

تصميم الغلاف: عمر الحدرب

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٥٨١٢

الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-63-1

الناشر /دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون /26061014 (20+)

هاتف محمول/ 1208868826 (20+) - 1065534541 (20+)

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

تنويه: ما ورد في هذا الكتاب يعبر فقط عن وجهة نظر كاتبه

أشكرك..

قبل كل شيء أشكرك يا إلهي على كل نفس أتنفسه وأنا بخير وجميع أحبتي معي يعيشون بسلام..

بعدها أشكرك يا أبي ويا أمي على ثقتكم الدائمة التي وهبتني روح جديدة إلى روحي والتي بدونها وبدون دعائكم المتواصل لما بادرت بمثل هذه الخطوة..

يأتي بعدها الشكر الكبير لإخوتي، نبض حياتي، أشكر كل واحد منكم وأرفع له القبعة لدعمكم المتواصل وحبكم الذي كافأني بالتقدم خطوة بخطوة تخطيها قدمكم قبل قدمي..

أشكرك أنت يا صديقي الذي وقفت بجانبي عندما احتجت إليك وإلى روحك التي عاشت معي تفاصيل حياتي..

أشكرك أيضا يا من رآني تائها فسار بي إلى جنان الأرض، إلى من وجد في قلبي حزنا فأنبت زهو ر السعادة فيه، إلى من عرف قدره عندي جيداً، إلى من شجعني ولم يحبطني وأرسل لي باقة زهور الأمل والتفاؤل.

أشكرك يا نفسي التي آمنت بنفسها وبإمكانياتها التي لا يعرفها أحد سواها، أشكرك لأنك لم تسمح لأي حاقد أن يضيع لذة موهبتك وإخلاصك في العمل. أشكرك يا من تؤمن بنفسك جيدا، وتؤمن بمن حولك أنهم قادرون مثلك على تغيير العالم للأفضل، يا من وجد مسكينا يبغضه الجميع فأعانه، يا من رآى الجميع يخطئ وقرر أن يكون هو المختلف، سأشكرك يا من رآى العالم من منظور مختلف عن أي أحد.

سأشكر الجميع، ولن أترك أحداً إلا وأشكره، فإن من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

مقدمة

لم أقتصر في كتاباتي على النهايات السعيدة، أو حتى الحزينة، وإنما على النهايات الواقعية الحديثة، التي تنقل القارئ إلى عالم غريب مهجور من الأكاذيب وأضغاث الكلام الذي يُسرد في بعض القصص الغير واقعية.

احتجت إلى أن أشير إلى بعض الشخصيات التي في الحقيقة محل إهمال في المجتمع، والتي بالفعل باتت ظاهرة مؤسفٌ الحديث عنها. شخصيات حقيقية لابد من لمس قلوبها لنجد لها حلا يصلح من حالها ويسهل التعامل معها. لذا جهز فنجان النسيان لتنسى كل ما فاتك، وابدأ حياة جديدة بهاتين القصتين.

الرواية الأولى

شيزوفرينيا الواقع

الفصل الأول (قصة زياد)

"انظر جيدا إلى من يهتم بك،

انظر جيدا إلى من يسال عنك،

وبادله بأحسن منها، فكلما أعطيت النحل زهو راً كافأتك بالعسل"

إنه يوم الخميس، ومن منا لا يحب الخميس؟! يوم تشرق فيه إبتسامة العالم من أعماق قلبه، فهو يوم بداية نهاية الأسبوع، إلا عندي أنا؛ فهذا اليوم عندي بمثابة ساحة الجريمة، نعم لا تتعجب من الذي أقوله، فأنا مهو وس بكشف جرائم الناس، والبحث في مواقع التواصل الاجتماعي عن كل ما هو مخبأ، وكشف مستور ما يخبئه الناس الذين يتظاهرون أمامنا أنهم ملاك طاهر لا يد لهم في أي ورقة تسقط من شجرة الخبث والفساد. انا أستمتع بكشف هذه الأسرار؛ فهي مهنتي المكنونة داخل قلبي قبل عقلي، وهذا ما دعاني أدخل بيت علم النفس من باب أدخلتني منه شيزوفرينيا الواقع التي لطالما أخبرت عقلي بأن لا شيء يدعى شيزوفرينيا عند الأشخاص. ولهذا سأثبت أن الشيزوفرينيا الحقيقية هي شيزوفرينيا الواقع الذي نعيش فيه، ولا توجد عند الأشخاص كما هو معروف وجليّ. لقد نسيت أهم شيء، أعرفكم بنفسي، أنا زياد فلسطيني الجنسية، أدرس هندسة الكمبيوتر في جامعة عريقة في دولة الإمارات

العربية المتحدة، أحب هذا المجال وأحب كل الأمور المتعلقة بالكمبيوتر لسبب أخبرتكم إياه من قبل.

مصاب بارتفاع ضغط الدم، مما يجعلني أهدأ في معظم أو قاتي وأبدوهادئا في تصرفاتي. إنفعالاتي لا أبديها كثيرا، فعندما أتفاجأ لموقف أدهشني أتفاجأ من داخلي ولا أبدي ذلك للذي أمامي، وهذا ما قد يلمحه بعض الناس ويصفه بـ"برودة الأعصاب".

سأروي لكم ما هو السبب وراء ذلك. أصابتني ذات يوم صاعقة العمر عندما كنت في الثانوية العامة، ولا زلت أذكر ذلك اليوم الذي توقف حينها عقلي لثوان يتأمل فيها هل ما حدث فيها هو واقع، أم أنه واقع لا وجود له. وكان هذا اليوم عند إعلان نتائج الثانوية العامة التي لطالما خاطبتني الكتب عنها أنها خلقت لشخص مثلي؛ فأنا من أو ائل الطلبة على مستوى الدولة. فعند الإعلان وجدت اسمي الثلاثي "زياد أحمد محمد" قد كتب في قائمة الراسبين. أصابتني حينها صاعقة يحيطها البرق

والرعد من كل مكان وهي تحاول الإختباء بين غيوم الظلام، يصرّون عليها أن تصعقني صاعقة الكآبة والإحباط المدمرة للعقول النابغة.

لم أترك مكانا إلا ووضعت عليه بصمات دموعي التي كانت تحترق عند نزول، الدموع التي إذا تذوقتها طيور السماء لماتت من ملوحة ألمه. نقلت إلى بيتي الثاني المدعوب "المستشفى"؛ نعم فقد زرته مراراً وتكراراً في حياتي القصيرة التي بتّ أشعر أنني أصبحت رهينة لمثل هذه الأماكن.

***

وصلنا إلى المستشفى وأنا منهار إلى أبعد الحدود، ووالدتي تحاول تهدئتي دون جدوى من ذلك، لأنني لا أستطيع أن أتخيل إن كل هذا الجهد الرهيب في الثانوية العامة من الممكن أن يطير مع غدير الطيور في الأعالي وينسى أن لكل مجتهد نصيب، فأين نصيبي الآن؟! أم أن هذه عبارات كانت مجرد أضغاث أقوال لا فائدة منها غير أننا صدقناها بطيبة

قلب؟! لم أزل على حالي هذا حتى شعرت بغليان في رأسي، وكل دقيقة كنت أفكر في حالي وما هو المستقبل القريب لمستقبلي.

قدم الطبيب ليقيس ضغطي، ويأخد الإجراءات اللازمة له، وآنذاك أخبرني الطبيب أن ضغطي قد ارتفع وأني لابد أن أتعود على توقع جميع الاحتمالات، إلا.... فهذا قد يهو ي بي إلى حفرة لن أخرج منها قبل أن يمسك بي مرض أتصارع معه في حياتي.

أتت أمي حينها وأخبرتني بأن الإسم الذي شاهدناه كان مشابها لاسمي، ولأني من الأوائل فكان اسمي قد كُتب في مقدمة الإعلان، ولكننا لسوء الحظ تأخرنا على أن نشاهد هذه اللحظة التي باتت من ذلك اليوم نقطة تحول في حياتي؛ فمن ذلك اليوم نصحتني أمي القاسية التي لطالما أهملتني فقالت لي أن أبتسم مهما كانت الظروف، وأن اهدأ وأعبر عن مشاعري فإن ذلك يخفف من الضغط النفسي الداخلي؛ فإن بكائي وإصراري على الظهو ر بملامح وحشية أمام نفسي أو لا ثم أمام أسرتي يمنعني من الرؤية، لكن الإبتسامة قد تطفئ من التوتر أحيانا. ولعل

المشاكل التي تواجهني تجد لها حلا يعيدني إلى الحياة فقط بهذه الإبتسامة البريئة. والآن بعد سنتين من هذه المرحلة المهمة في حياتي، أنا أدرس هندسة الكمبيوتر وفي فصلي العديد من الطلاب والطالبات النابغات، ولم تصبني في مرة صدمة بأنني لم أكن الأول على دفعتي وذلك لأنني غدوت أتوقع الأدنى في كل مرة حتى أتقبل الأمر الواقع.

***

الفصل الثاني

(مقابلة غيث)

"سأستمتع بما عندي، ولن أقارن ما عندي بالذي عند غيري،

ولن أتمنى الحصول عليه، فقط سأكتفي بما عندي،

حياتي تقودها مكوناتي التي حصلت عليها من خالقي، أفضل بكثير من مكونات حصلت عليها من غيري بمجرد أنها أغرتني"

في صباح يوم الأحد الموافق الأول من شهر آب، استيقظت من النوم مبكرا، لا أعلم ما السبب الذي جعلني أستيقظ بهذا النشاط، ربما هو نسيم الحياة الذي أخبرني بأن يومي سيكون مختلفا هذه المرة.

تناولت افطاري وارتديت ملابسي الأنيقة وذهبت إلى جامعتي نشيطا. وأنا في الطريق، تعرفت على شاب عند حديقة الجامعة اسمه غيث، وكان هذا الشاب السوري الوسيم نقطة مهمة في حياتي، والذي جذبني إليه أنه طالب في هندسة الكمبيوتر أيضا. وجدت فيه جميع الصفات التي يبحث عنها أي شخص ليحظى بصداقة مخلصة. وثقت به كثيرا على مدى الأيام ولم أشك للحظة أنه كان يصاحبني لأنني من عائلة ثرية، بل في المقابل كان فخورا بي وكان ينطبق عليه مقولة "صديقك من صدَقَك وليس من صدّقَك".

لكنه لا يعلم ما أهمية هذه العائلة الثرية بدون أم حنونة أو أب كريم، لا داعي لأن أذكركم بأسرتي، فأسرة غيث كانت المثالية التي أبحث

عنها. كان كلما أتى إلى الجامعة أخبرني أن أباه قد أعطاه المال المقدر بكذا وأمه قد حضّرت له الطعام المفضل لديه، والجدير بالذكر أن أسرته أيضا ثرية، كلما رأيته تخيلت نفسي أنني هو مع هذا الأب اللطيف والأم الحنونة. دعوني أروي لكم قصة قصيرة تثبت كلامي هذا.

في يوم من الأيام كانت دروس محاضراتي قد انتهت باكرا، فاتصلت على غيث لنتقابل في حديقة الجامعة:

زياد: الو؟! كيف حالك يا غيث؟!

غيث: أنا بأحسن حال وماذا عنك؟!

زياد: أنا أيضا بخير. لقد انتهيت من محاضراتي لهذا اليوم، هل ترغب بمقابلتي عند حديقة الجامعة لنحتسي بعض القهو ة في هذا الجوالمريح؟

غيث: ولم لا، هيا أنا أنتظرك في الخارج.

وبعد أن وصلنا إلى الحديقة:

زياد: لقد حضرت لي أمي البارحة كالعادة الأكل الشهي الذي أحبه، ولكنني أخبرتها بأن تعودني على الحرمان، لكنها لا تستجيب لذلك، أنت تعلم حنان الأم.

غيث: في الواقع أنت محظوظ، لأن أمي حنونة ولكنها تعمل معظم الوقت، ولهذا تجدها تظن أنها لا توفي بحقي، فتطلب من أبي الكريم أن يعطيني بعضا من النقود الورقية، فيعطيني أكثر مما أتوقع دائما.

وهنا أحسست بأن حياته تفوق حياتي أضعاف المرات، وأنه محظوظ بالفعل لوجود هذين الوالدين في حياته. كل مافي هذا الشاب ملفت وجميل، ما عدا صفة واحدة، ألا وهي الخجل، سأحاول أن أعرف سرها في أقرب وقت ممكن.

***

الفصل الثالث

(قصة غيث)

"أسرتي تضخ في قلبي روح السعادة بمجرد كوني معهم، سأحبهم وسأبقى بجانبهم"

أعرفكم بنفسي، أنا غيث طالب في كلية هندسة الكمبيوتر التي أعشقها منذ نعومة أظافري لأسباب جهلتها، أسرتي مكونة من أمي وأبي وأنا. أمي هي نبض حياتي، كلما شعرت أنني تائه أجد نفسي بين أحضانها، أبي شخصية بارزة في المجتمع لهذا فهو يعمل لأجلنا في النهار لساعات طويلة، ولكن في المقابل لا نراه كثيرا كما كنت وأنا صغير.

عودني أبي على ألا أتكلم أبدا في البيت، باعتبار أنني طفل؛ فلا يأبه بما ينطق، فكلما أشرت إليه بأن نفعل كذا أو كذا يصفعني بكلمة "اصمت إنه ليس من شأنك"، وهذا ما جعلني كتومًا مع نفسي بعض الشيء، أما مع باقي الناس.. لا أعلم، فأنا لم أكن صديقا لأحد قط حتى أخبره بقصتي التي اعتبرها جميلة، فأنا أعيش حياتي الهادئة بدون أي مشاكل، أجلس عليَّ سريري وأغلق عليَّ بابي أتحدث مع قطتي التي أجزمت على أنها تفهم كلامي وتراعي شعوري أكثر من أي أحد، فهي باختصار تملئ حياتي الفارغة. إلى أن قابلت شخصا أصفه دائما بالغرابة اسمه زياد،

فتارة يأتي وهو ليس بجيبه أي نقود، وتارة يأتي بملابس تشبه ملابس الملوك. وبعد أن أخبرني أن عائلته سعيدة وممتعة، تشوقت لرؤيتهم، ولكن كلما طلبت منه ذلك أجابني بأنهم ليسوا على استعداد، وهذا ما جعلني أصفه بالغرابة. الأكثر غرابة هو أنني عندما أكون معه أشعر بأنني شخص آخر، شخص سعيد، متحدث، كالطائر يطير في سماء يوم صافي لا مطر فيه ولا غبار.

أجهل السبب، ربما لأنه أو ل شخص يثق بي؟! أم ربما لأن بيننا شيء مشترك ألا وهو حب الكمبيوتر؟! هذا لا يهم، المهم في الأمر هو أن صداقتنا أصبحت وطيدة. لحظة واحدة، زياد يتصل بي على هاتفي المحمول.

زياد: كيف حالك يا صديقي غيث؟

غيث: أنا على أفضل حال وماذا عنك؟

زياد: أنا بخير. كنت أتساءل ما إذا بإمكانك المجيء إلى بيتي اليوم، فلدي ما أخبرك إياه.

غيث: لقد فاجئتني! إنها فكرة رائعة.

زياد: حسنا، سأكون تحت بيتك في تمام الساعة الرابعة عصرا.

غيث: وأنا سأكون في انتظارك. إلى اللقاء.

وأغلق بعدها الهاتف.

غيث: لا أعلم ما هو هذا التوتر، أنا لم أشعر يوما بإحساس كهذا، سأحاول أن اهدأ وكل شيء سيكون على ما يرام.

طرقت أم غيث عليه الباب:

أم غيث: هل أنت بخير يا صغيري؟

غيث: نعم أنا بخير يا عزيزتي.

أم غيث: إلى من تتحدث؟

غيث: كنت أتحدث مع صديقي، صديقي يا أمي.

أم غيث: حسنا إن أردت أي شيء ستجدني في غرفتي.

غيث: حسنا..

خرج غيث من غرفته وسأل والده:

غيث: أبي هل يمكنني أن أخرج اليوم مع صديقي زياد؟

والد غيث: ومن يكون زياد؟ ومتى تعرفت عليه؟

غيث: إنه طالب مجتهد وتعرفت عليه منذ فترة وجيزة.

والد غيث: لا، لا يمكنك الخروج معه، واجلس في البيت وساعد والدتك في أعمال المنزل.

هز غيث رأسه بالإيجاب بكل خجل ودخل غرفته منتظرا خروج والده من المنزل، حتى يتسنى له أيضا الخروج من هذا المنزل المغلق.

***

الفصل الرابع

(التعرف على سعيد)

"الصديق الوفي هو الذي تعتبره روحك المجسدة بجسده، تكون معه على طبيعتك التي يصعب عليك أن تظهرها على أي شخص آخر"

إنها الساعة الثانية ظهرا، بعد ساعتين سيأتي غيث إلى منزلي لأول مرة، لكنني أخبرته بأن أسرتي سعيدة جدا وهي على نقيض ذلك، لذلك سأحاول أن أخبر أمي بأن تبقى في غرفتها.

ولكن الأهم من ذلك أنني سأخبر غيث بقصة الأمور التي أنشرها عن الناس، وهذا سر خطير وأنا أعلم ذلك، لكن بالمقابل أنا أحتاج إلى شخص أثق به ثقة عمياء ليساعدني ولم أجد سوى هذا الشاب.

الساعة الرابعة عصرا :

أم زياد: إنني متعجبة! لماذا ترتب غرفتك في هذا الوقت من النهار؟

زياد: صديقي غيث سيأتي لندرس سويا، ورجاءً ابقي في الصالة حتى يرحل، لأن والدته متوفية ولا أرغب بأن أراه متضايقا لعدم وجود أم في حياته.

أم زياد: كما تريد.

زياد: أهلا بك في منزلي المتواضع.

غيث: أشكرك، لكن هل علمت ما حدث؟

زياد: وماذا سيكون قد حدث؟

غيث: لقد توفي في صباح هذا اليوم دكتور الفلسفة في الجامعة، وإنه لشيء مؤسف.

ابتسم زياد إبتسامة بريئة خالية من أي شعور وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لكنها ليست نهاية العالم يا صديقي.

غيث: ماذا تقول؟! ولماذا تبتسم هكذا يا رجل! أليس لديك أي إحساس؟! أعلم أنها ليست نهاية العالم لكن ردة فعلك "باردة" إلى حد ما.

زياد: أعلم ذلك، الكل ينعتني بها.

نظر إليه غيث نظرة كادت عيناه أن تقتلعان من مكانهما، وأكملا دربهما بعدها.

تردد زياد بإخبار غيث عن السر الذي جاء من أجله، لكن بعد ساعة من الزمن قال: صديقي غيث، صديقي الذي أثق به، أنت تعلم كم أثق بك، ولهذا سأخبرك بسر عظيم جدا.

غيث: وما هو هذا السر؟

زياد: لدي مهمة سرية، ألا وهي كشف المستور.

غيث: نعم!؟ كشف ماذا؟

زياد: كشف المستور، أعني أنني أدخل على مواقع التواصل الإجتماعي وأقوم بعمل إضافة لبعض الأشخاص، وما أن يقبلوني أقوم باختراق جميع الصور وكل الأمور الخاصة وأهددهم بنشرها أو بعمل أمور قد تهو ي بهم إلى الهاوية. وبهذا أطلب منهم مبلغا ماليا مقابل تركي لهذه الأمور، وما أن أنتهي من شخص، اذهب لشخص آخر، وهذا كل ما في الأمر هاهاها.

غيث: لكن هذا الأمر خطير، ومع هذا أنت بالتأكيد تحصل على أموال وفيرة، وأنا أحب هذه الأمور، ربما يمكنني مشاركتك فيها في المستقبل

القريب.

زياد: أجل بالتأكيد، الآن كنت إذا أردت أن أهدد شخص أتحدث معه بلكنة مختلفة حتى لا يصيبني أحدهم، وبما أنك موجود هنا سأحاول أن أتحدث بالسوري، وإن أخطأت قومني.

وبعد أن انتهى غيث وزياد عملهما، جاء غيث يطلب الإذن بالخروج من زياد ليعود إلى منزله فقال: لقد استمتعت كثيرا معك اليوم ولابد أن أرحل الآن، كنت سأكون سعيدا لوكنت تعرفت على أسرتك لكنك كما قلت أنهم يشاهدون فيلما سينمائيا على التلفاز، فربما في وقت آخر.

زياد: لا بأس، في وقت آخر، غير أنني لا أجدها ذات أهمية.

أم زياد: إلى أين أنت ذاهب يا زياد؟

زياد: سأعود في الحال، سأرافق غيث إلى بيته.

وهما يسيران في الطريق رن هاتف زياد.

زياد: إنه رقم خارجي، دعني أراه، الو؟ من معي؟

سعيد: كيف حالك يا صديقي أنا سعيد، صديقك من لبنان.

زياد: سعيد! أنا لا أصدق! لقد اشتقت إلى سماع صوتك، أين أنت وماذا تفعل الآن؟

سعيد: لدي خبر مثل اسمي.

زياد: وما هو ؟! أخبرني.

سعيد: أنا الآن في دولة الإمارات وأتيت إلى جامعتك اليوم لأفاجئك بتسجيلي في نفس جامعتك، لكنني لم أجدك.

زياد: أنت تمزح بالتأكيد! ماذا تقول؟! معي أنا؟! إنه أسعد خبر سمعته منذ زمن طويل، لنتقابل غدا وأعرفك على صديقي الجديد غيث، ماذا تقول؟

سعيد: حسنا، غدا في تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر سنتقابل عند حديقة الجامعة. أنتظرك. إلى اللقاء.

***

الفصل الخامس

(قصة سعيد)

"راقب الله عند فتح جفنك وإطباقه"

أنا سعيد صديق زياد، تعرفت عليه منذ سنتين عندما كنا في الثانوية العامة معاً، لكنني سافرت أثناء الدراسة إلى بلدي. أنا شاب وسيم كما ينعتني البعض، وأدرس هندسة الكمبيوتر التي كانت حلم أبي. أعيش تارة مع أمي وتارة مع أبي، أجل فوالداي منفصلان لأسباب خاصة.

اليوم هو الإثنين، وبعد ساعة ونصف يجب أن أكون جاهزاً لأقابل زياد وصديقه الجديد غيث.

تقابل زياد وغيث مع سعيد وكانت في تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر.

زياد: أنا لا أصدق أنني أراك يا سعيد.

سعيد: وأنا أيضا. هل هذا هو صديقك غيث؟

غيث: أجل أنا غيث، سررت بمقابلتك

سعيد: وأنا أيضاً. أنا متاكد بأنك شخص رائع فزياد لا يصاحب إلا الرائعين مثلي.

غيث: أشكرك على هذه الثقة، وأنت أيضا كما قلت صديقه من قبلي لك كل التقدير.

كما ترون هذه المقابلة البسيطة بكلماتها الرسمية كانت بداية البداية الفعلية لقصة الشباب الثلاثة، فقد زادت ثقتهم وأصبحت بحجم منطاد إذا خدشه طائر لمات الطائر وبقي المنطاد كما هو.

سعيد كان يعلم قصة زياد مع الأمور الرذيلة التي يفعلها مع الناس، وكان لا يستمتع بمشاهدته ما يفعله صديقه، لكنه خاف إن أخبره بما بداخله أن يخسر قلب لطالما تمنى له الخير حتى في غيابه، لذلك كان يسكت ويعتبر نفسه أعمى حينما يفعل زياد ما يفعله مع الناس.

وفي يوم من الأيام، أتى زياد إلى الفصل وكان يوم الإمتحان، وجد زياد الأسئلة بسيطة وسهلة الحل فانتهى منها وخرج من قاعة الإمتحان. خرج باقي الطلبة بعد انتهاء هذا الامتحان. وأتت بعض الفتيات إلى زياد ليستفسروا منه عن الامتحان.

سلوى: كيف حالك يا زياد اليوم، كيف كان امتحانك؟

زياد: الإمتحان جيد.

سلوى: جيد فقط؟!

زياد: نعم فقط جيد.

سلوى: هل أخبرك أحدهم أنك بارد بتصرفاتك؟!

زياد: لقد أخبروني قبل ذلك.

سلوى: أنت لا تعرف أساسا كيف تتحدث ولا أعلم لما أنت مغرور هكذا بابتسامتك التي لا تفارق وجهك في الحلووالمرة.

زياد: شكرا لك.

فتاة أخرى: إنه فعلا بارد الأعصاب ومغرور.

بدأ الصوت يعلوشيئا فشيئا، حتى ابتسم زياد ورجع إلى بيته يفكر كيف يمكن له أن ينتقم من هذه الفتاة. اتصل على سعيد وغيث ودعاهما إلى بيته.

وفي ليل غطّى عليه الظلام، ظلام قلوب من لا يحتوي قلبه على رحمة، سواد لم تتحمله القلوب فصعد إلى السماء الصافية فعكرها، اتفق زياد مع صديقيه أن يبحثوا عن تلك الفتاة وينشروا كل ما ستر من ورائها. في بداية الأمر لم تنجح الفكرة، فسعيد لم يقبل هذا المخطط بنعتها بخافة وقلة حياء، لكن بعد الضغط من قبل زياد، وبعد أن أخبره زياد أن مهمته

لن تكون كبيرة، خشي سعيد أن يفقد صديق عمره زياد، فوافق بقلب كقلب قطة أعطت قلبها لصغارها خشية أن يموتوا، فماتت هي وعاش الصغار ناكرين لمعروفها.

***

الفصل السادس

(المهمة الغير أخلاقية)

"سامح واغفل عن أخطاء من حولك، أنت لست مجبراً على ذلك، لكن تذكر أن من عفا وأصلح فأجره على الله"

زياد: أمي، اليوم سأدعو صديقيّ سعيد وغيث إلى البيت، أريد منك أن تحضّري كعكاتك اللذيذة من فضلك.

أم زياد: حاضر يا بني، سأفعل عند عودتي من العمل.

إنها نهاية الأسبوع، وهو يوم الخميس الذي أستجمع فيه كل قواي لأقوم بعملي على أكمل وجه. دعوت أصدقائي لنلعب ألعاب الفيديو التي يحبها سعيد، ومن ثم سنقوم بمهمتنا كما اتفقنا، ها قد أتوا.

سعيد: هل جهزت ألعاب الفيديو يا صديقي؟

زياد: ألعاب الفيديو تنتظرك لتخسر يا أحمق.

سعيد: سنرى الآن من الأحمق.

بدأ الثلاثة باللعب بانسجام تام، ومع سماعات الأذن الكبيرة التي يصدر منها صوت عال جدا.

أتت أم زياد وهي مبتسمة؛ بعد أن شاهدت هذا الإنسجام ووضعت الكعك على الطاولة وقالت: ها هو الكعك يا زياد.

لكنه لم يسمعها فغادرت الغرفة بابتسامة صغيرة.

انتهى الثلاثة من هذه اللعبة. وما أن انتهو ا فتحوا الكمبيوتر وبحثوا عن تلك الفتاة التي تدعى "سلوى"، والتي تعتبر الأولى على الفصل الذي فيه زياد.

زياد: ها قد وجدت جميع الرسائل التي راسلتها سلوى مع إحدى صديقاتها المقربين، التي من الممكن أن نهددها بها، ولكنني لا يمكنني الوصول إلى هذه الرسائل قبل أن تقبلني كصديق، الآن سنخترع حساب جديد وهمي، عليه صورة شاب وسيم عمره بين ٢١ و٢٧ عاما ونرسل إليها طلب للصداقة.

غيث: وهل تعتقد أنها ستقبل أي شخص لا تعرفه؟

زياد: بمجرد أننا وضعنا صورة شاب وسيم وعمره مناسب لعمرها ستجدها وافقت على الفور، لا تقلق، الجميع هذه الأيام يقبل أي أحد بدون وعي.

وبعد ساعة من الحديث.

زياد: ها قد وافقت على الطلب. ألم أخبركم.

سعيد: هل يجب علينا أن نهددها الآن أم ماذا؟

زياد: لا، بل سنجعل العلاقة تتطور بعض الشيء، ثم نهددها بفيديو مخيف يجعلها ترسل الأموال وهي في مكانها. وبعد أن نتأكد أن الأموال وصلت نغلق الحساب الإلكتروني.

غيث: لا أعلم من أين تأتي لك هذه الأفكار الشيطانية!

وبعد مرور خمسة أيام على هذه العلاقة الإلكترونية التي اقتصرت على الرسائل الإلكترونية، أراد زياد أن يجعل سلوى تقتنع بأن هذا

الشخص الذي تكلمه معجب بها؛ ليتيح لنفسه فرصة رفع الشك عنه أنه مزيف أو أي شبهة تلوح به. فقام بمكالمتها قائلا: كيف حالك يا سلوى؟

سلوى: أنا بخير يا وليد. ماذا تفعل في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

زياد: أنا أراقب عقلك

سلوى: تراقب عقلي؟! لم أفهم؟

زياد: أراقب عقلك لأساله هل هو معجب بي هكذا مثلي أم أنني مخطئ في العنوان.

سلوى: هاها لقد أضحكتني. في الحقيقة وبدون زعل، لست على الإستعداد لأعجب بشخص لم أقابله بعد، ولم أتعرف عليه سوى أسبوع واحد. لذا أمهلني فترة أتعرف بها عليك جيدا ومن ثم اطرح عليَّ السؤال مجددا، وعندها ستكون قد عرفت قراري.

هنا زياد بخبراته السابقة عرف الوقت المناسب الذي سيبدأ به بتهديد الفتاة.

وبعد مرور أيام على تطور العلاقة، بدأ زياد تدريجياً بتهديد سلوى شيئاً فشيئاً بتلك الرسائل التي وجدها على حسابها، ولكن سلوى لم تكن تجيبه.

أخبر زياد صديقيه بالخطة التي بدأت بارتداء أقنعة ليرسلوا لسلوى فيديوهات مخيفة تهديدية؛ حتى يكون أكثر إقناعاً. وبالفعل، فعلوا ذلك وأرسلوا فيديوهات تهددها بإرسال الأموال المطلوبة، وإلا ستصبح رسائلها وصورها بين أيدي الناس، وأمهلوها ٢٤ ساعة.

***

الفصل السابع

(الواقع)

"إلى من كان ذات يوم بجانبنا ولم يفارقنا، إلى روح كانت تداعب أفئدتنا، لقد افتقدناك"

في صباح يوم الأربعاء، الساعة التاسعة صباحا، سمعت الأم طرقات باب عنيفة، فأسرعت إليه. وإذ بها الشرطة تسأل عن ولدها زياد.

الشرطة: نحن شرطة مكافحة الجرائم الإلكترونية، بعض الأدلة بخصوص انتحار دكتور الفلسفة في جامعة معينة دلتنا على هذا البيت. هل المدعوزياد هنا؟

أم زياد: لا إنه في الجامعة.

الشرطة: هلا تمانعين بأن نسألك بعض الاسئلة بخصوص تصرفات ابنك؟

في أثناء ذلك الوقت، كان زياد في الجامعة ذاهباً إلى الفصل يحاول الإتصال بصديقيه غيث وسعيد لكن لا أحد يجيب. وبعد لحظات، سمع زياد مناد يهتف بإسمه: الطالب زياد أحمد محمد طالب هندسة الكمبيوتر ليتوجه إلى مكتب المدير. أصابت زياد بعض الريبة والخوف، وظهرت عليه آثار القلق. توجه إلى مكتب المدير ملقياً عليه السلام.

زياد: لقد طلبت مني الحضور يا سيدي المدير.

المدير: أنت تدرس هندسة الكمبيوتر أليس كذلك؟

زياد: نعم يا سيدي

المدير: وبماذا تستغل هذه الدراسة؟

زياد: لم أفهم ما تقصده يا سيدي المدير؟

المدير: أقصد أنك تستغلها بالطعن في أعراض الناس، أليس كذلك؟

زياد: ليس لدي أي فكرة عما تقوله يا سيدي.

المدير: زياد، لقد أتتنا الطالبة سلوى صاحبة المركز الأول على الدفعة منهارة، وقدمت إلينا فيديو تهديدي قد أرسله لها شخص ما، استطاعت أن تحصل على جميع المعلومات عن صاحب الفيديو بخبراتها في هندسة الكمبيوتر، والذي يبدو وكأنه أنت.

قال زياد مترددا: أنا؟! كيف هذا؟!

المدير: شاهد الفيديو بنفسك ثم قرر.

***

شاهد زياد الفيديو الذي صوره مع صديقيه غيث وسعيد، وعاده ثلاث مرات متتالية ثم قال: سيدي، هذا الفيديو غير صحيح، فلم يكن على هذا السياق.

المدير: وما هو السياق الصحيح يا زياد؟

سكت زياد للحظة ثم أكمل المدير: زياد، أنت مفصول من الجامعة نهائيا بتهمة أنك تستغل دراستك بالطعن في أعراض الناس.

زياد: سيدي، لكنني لم أكن لوحدي.

المدير: ومن كان معك؟

زياد: صديقي غيث وسعيد

المدير: ومن يكونان غيث وسعيد. زياد، لم يكن في هذا الفيديو سواك أنت.

زياد: سيدي أنا أقسم بأن غيث وسعيد كانا معي في هذا الفيديو، وهم معي أيضا في نفس مجال دراستي.

بحث المدير في قائمة الطلاب عن أسماء هذين الطالبين فلم يجد أي منهما موجود حتى في الجامعة كلها. حاول زياد الإتصال بهما لكن لم يجد أي جواب.

أصابت زياد صاعقة أقوى من التي صعقته من قبل.

زياد: أنا لا أصدق، هل خرجا من الجامعة وبحثا عن غيرها ليورطاني وحدي في هذه المشكلة؟ !

بدأت دوامة كبيرة تحلق فوق رأس زياد، دوامة تطلب من الشمس القاسية أن تسقط إحدى اشعاتها على رأس ذلك الشاب الحائر في أمره، فربما قوة هذا الشعاع تصيبه بإغماء يريحه من التفكير في الواقع.

وفعلا أغمي عليه وسقط كالطائر الذي يطير في السماء، فيلقى حتفه من فوق الغيوم حتى يسقط في أعمق حفرة على الأرض.

***

الفصل الثامن

(شيزوفرينيا)

"مهما فعلت ومهما أنجزت سيتحدث الناس عنك أياً كان نوع هذا الحديث، من مدحك اليوم سينسى غدا، ومن ذمك غدا سينسى بعد غد، كن مثلهم، لا تعطهم مجالا ليتحكموا بك وبشخصيتك، ستتغير لأجل أحدهم ويأتي غيره ليغيرك أيضا حتى تصبح رهينة بين أيدي الواقع..

يقول ابن الجوزي رحمه الله "من وطّن قلبه عند ربه سكن واستراح ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق "

استيقظ زياد من الإغماء فوجد نفسه في بيته بين أحضان أمه، فجلس ممسكا بكتفيها.

زياد: أمي أخبريني ما الذي يحدث؟! لقد طردت من الجامعة ولا أدري ماذا سأفعل.

أم زياد: زياد، أريدك أن تهدأ أو لا، ولا تتعب نفسك، لقد أتت الشرطة في

الصباح تسأل عنك بسبب فيديو نشر لدكتور الفلسفة، وكنت أنت وراء نشره، مما أدى إلى انتحار الدكتور أليس كذلك؟

زياد: نعم يا أمي لكنني..

أم زياد: زياد، في مثل هذه الأمور لا يوجد أي نوع من المزاح. ألا تعلم أنه من يظهر عيوب الآخرين يحط في نظر السامعين.

زياد: لكنني لم أكن لوحدي، فسعيد وغيث كانا معي في كل خطوة أخطيها، وبومضة واحدة لم أجدهم حولي.

أم زياد: ألم أخبرك من قبل أنني أريد أن أرى هذين الولدين؟

زياد: لقد فعلتي من قبل عندما طلبت منكي أن تحضّري الكعك.

أم زياد: نعم، لقد انتظرتهم ولكنني لم أرهم.

زياد: لقد كانا يلعبان معي ألعاب الفيديو.

أم زياد: زياد، لم يكن هنالك سواك يلعب في الغرفة.

ذهل زياد من جواب أمه الذي حطمه مرة واحدة.

زياد: ماذا تقولين؟! أمي أرجوكي لا تكذبي علي، ألم ترِ غيث أيضا؟! لقد أتى مرتين.

أم زياد: لا لم أره، أخبرتني أنك ترتب الغرفة لأجل قدومه ولم يأتي.

زياد: أمي أنتي تكذبين علي، سأذهب وأسال أبي، لقد كان يشاهد الفيلم السينمائي معك.

أم زياد: زياد، لقد مات أبوك منذ ثلاث سنوات.

نزلت دمعة قاسية من عيون زياد بعد سماع ذلك، فقد كانت هذه الصدمة هي سبب الصدمات التي بعدها. لقد فقد زياد والده قبل امتحانات الثانوية العامة، مما دمر حياته. دخل زياد غرفته باكياً منهارا إنهياراً لا تقدره المقادير ولا تحس به الأحاسيس.

زياد: هل هذا يعني أن سعيد وغيث هم شخص واحد، وهذا الشخص هو أنا؟! هل يعني أنني خجول وبنفس الوقت مغرور؟! هل أنا من ينعتني الناس بالوسيم وتارة ينعتوني بالبارد؟! لالالا، لا يعقل، غيث يعيش حياة سعيدة مع والده السعيد، وسعيد والده قد انفصل عن أمه! لا تقل لي بأنني كنت أتخيل أنني أعيش مع والدي في هذه الغرفة المغلقة، الذي هو في الحقيقة قد

مات منذ ثلاث سنوات! أنا لا أصدق!

ولكن هذا كله ليس بسببي، لست أنا من تسبب بكل هذا لي، أنا إنسان طبيعي، وأنتم المختلفون، وغيث إنسان وسعيد إنسان، كلما رأيتموني ابتسم، قلتم عني بارد حتى أصبحت بالفعل بارد، وقلتم عن إجاباتي

البسيطة غرور، حتى أصبحت أعانق سماء الغرور، أنتم أيضا من وصفني بالوسامة التي لا أملكها، أنتم من صنعتم شخصيتي بإرادتكم وليس بإرادتي، بكلامكم الجارح الذي تلفظه شفاهكم التي تتكلم ولا تسكت، تنقد ولا تأبه بما تنتقده. كنتم تدعون ألسنتكم تشارك أعينكم عند إنتقادي أو إنتقاد عيوب الآخرين، ونسيتم أنني مثلكم أملك عيون ولسان يمكنني أن أجرحكم مثلما تفعلون. نعم إنه الواقع، لكن شيزوفرينيا عقولكم لا تستقر على حال، نعم أنتم ولست أنا، أنا أشعر وأحس وأرى كل شيء طبيعي وأعبر عما بداخلي مثلكم تماما، لا لست مثلكم، أنا أعلم قدري جيدا. وعلمت أن لكل منا في واقعه شيزوفرينيا قد تؤثر على استقرار وثبات حياته، لكنه هو من يحدد ما إذا كانت ستتحكم فيه أم هو من سيتحكم بها. لذا اتبع عقلك تنجو، واتبع كلام الناس تهفو.

كانت والدة زياد قد أخبرت الشرطة أن زياد لديه اضطراب الإنفصام، وأنه يتعالج منذ ثلاث سنوات بأدوية مضادة للإكتئاب

وأدوية مضادة للذهان paroxetine& olanzapine، لكنها اكتشفت مؤخرا أن علبة الأدوية قد نفذت.

طلبت الشرطة من أم زياد أن تعالج ابنها في أسرع وقت وإلا فسيتم القبض عليه إذا بات على ما هو عليه، فأسرعت به إلى أقرب مستشفى في المنطقة.

***

الفصل التاسع

(أوليست النهاية؟!)

"الابتسامة تمنحك راحة البال في أصعب الأوقات. "

أنا الآن أتعالج يوميا لمدة أسبوع على الأدوية، وأمارس حياتي بكل طبيعة وحيوية. لكن لحظة، هنالك هاتف يرن.

زياد: ألومن معي؟ نعم؟! سعيد! ماذا تريد؟! وأين أنت؟ تريد مقابلتي؟! حسنا سآتي عند حديقة الجامعة.

ذهب زياد لمقابلة سعيد وغيث.

زياد: كنت أعلم أنكم حقيقيون.

سعيد: زياد، أنا أنت وأنت أنا.

زياد: لا تخدعني هذه المرة، فأنا الآن إنسان يعيش حياته بكل طبيعة، وأعلم شيئا واحدا فقط.

سعيد: وما هو؟

زياد: أعلم أنه لابد أن أتخلص منكما والآن.

سعيد: لن تتخلص منا إلى الأبد.

أخرج زياد سكينا من جيبه وقام بطعن كل من سعيد وغيث بكل شراهة، حتى سقطا على الأرض. اعتقد زياد أنه بذلك قد انتهى من عقدة كان قد أصرها في نفسه وضاقت عليه، ولكنه ما أن طعنهم، سقط السكين على الأرض، فنظر زياد إلى بطنه فوجد الدماء تحيط بكل جسده.

زياد: ما هذا؟! إنني أنزف دماً وبشدة!

سقط زياد على الأرض والجميع من حوله يحاولون إسعافه.

زياد: ما هذه الدقات التي أسمعها؟ أنني أسمع دقات قلبي تتباطىء شيئا فشيئا، وكأن كل دقة تخبر الأخرى بأنه لا جدوى من إسعافي، لكنني لن أفقد الأمل، ومع هذا، سأبتسم!

***

الرواية الثانية

القدر المظلم

الفصل الأول

(سماوية)

"التشاؤم شيء بشع يتسلل إلى أعماق قلوب الطيبين،

فيحولها إلى قلب جُعسوسٍ،

يرفض حرية الحب والتفاؤل في الحياة. "

لست أذكر في الحقيقة موعد ميلادي الرسمي، لكن كل ما أذكره لحظات ولادتي الغامضة التي باتت تلاحقني كطفلة صغيرة تتسلق أشجار الكآبة هروبا من نعيم الحياة. عشت يتيمة الأب، لم يمت، لكننا - أنا وأمي- عزمنا على نسيانه لسبب سأخبركم إياه بعد قليل.

أذكر عند ولادتي كنت داخل حجرة صغيرة خالية من الأكسجين، وكانت أمي تلهث من ضيق المكان. أجهل سبب ولادتي في مكان كهذا، لكن القدر أحيانا يلزمنا بأن نصمت حين نسأل عن أمور لا يد لنا فيها. حملتني أمي وذهبت بي إلى البيت المتواضع الموجود في وسط قريتنا المعهو دة، التي بات اسمي مقرون فيها بظلام الليل. أسمع بكاء هذا الظلام وينكسر قلبي حزناً عليه؛ فجميع الناس ينعتوه بأشنع الألفاظ، ولا يد له في سواده. إنما هو القدر الذي ألصق معه حكاوي اليائسين؛ فمن أراد أن يبرر حزنه، أطلق عليه اسم ظلام الأحزان. نعم سمعته يبكي ويجهش، وأنا أنظر وأبتسم إليه؛ فقد أخبرته بأنه صديقي

المفضل، بعد أن سمعته يهمس في أذني ويقول: أرى فيكي فتاة لها مستقبل مظلم مثلي.

سمتني أمي ب سماوية؛ لنقاء وصفاء وجهي الذي يشبه قلبها الدافئ الحنون. حياتي شبه مملة؛ كل ما أفعله هو الجلوس عند نافذة غرفتي وأتحدث مع ظلام الليل. فأي فتاة مثلي بشعرها الأسود الطويل الخشن، مع هذه البشرة الحنطية والعيون الواسعة، تخشى أن يراها أحد فينكر وجودها. بدأت أكبر شيئا فشيئا، إلى أن أصبح عمري العاشرة والنصف. عشر سنين أعانق صديقي في وحشته وأتكلم معه. يسألني واسأله، يعطني بعضاً من كآبته وأبادله بنفس الشعور. عندها علمت لما سمتني أمي بسماوية. أنجبت أمي شقيقي الأصغر الذي أطلقت عليه إسم (زهران)، لسبب لم أعرف كيف سمعته في أذني فأطلقته على الفور. ربما سمعته من صديق أتخيله دائما أمامي لا يفارقني في وحدتي. لا أدري في الحقيقة السبب الأساسي وراء تسميته بهذا الاسم، لكنني في نهاية قصتي سأخبركم السبب الحقيقي وراء ذلك. لكن بعد أن نظرت في

عيون أخي (زهران) وجدت فيه طاقة إيجابيه تخالفني في كل أمور حياتي. فحاولت أن أخاطره بعقلي وأخبرته بأن يحافظ على هذه الطاقه المكنونه لأنها كنز كبير لا يعرفه إلا من تعرف على ظلام الليل.

في يوم من الأيام، سمعت شجاراً حاداً بين أمي وأبي. إنها كالعادة شجار سخيف تبدؤه أمي بصوت منخفض وينهيه أبي بصفعة عالية لا أدري ماهو سببها، هل هي من طرقاته على مكتبه الخشبي أم أنني أتوهم هذا. لا أدري، لكن الجدير بالذكر أن هذا الشجار لم ينتهِ أو بالأحرى قد انتهى لكن بعد أن خرجا من الغرفة، وذهبا إلى الصاله الصغيرة. ما كان مني إلا أن لحقتهم إليها ولكن باستخفاء. وكانت الصدمه عندما رأيت أبي يضرب أمي بحزامه الحديدي ويخرج من هذا الباب القصير. دهشت من الموقف، الذي صاحبه بكاء أخي الصغير على سريره المتحرك، وضحكات ظلام الليل التي تمنيت لوكان بإمكاني أن أصل إليه فأصفعه على وجهه نفس الصفعات التي سمعتها؛ فيحس قليلا بما تحسه

تلك الأم المسكينة. أصبح الخوف يسيطر علي، لا ليس في تلك الليلة فقط وإنما طوال حياتي. بدأت أشعر أن هذا

العالم يحاربني طوال الوقت. حتى عندما كنت أبكي، كان يأمرني بأن أنهمر في البكاء، وبدون أن أصدر أي صوت.

***

الفصل الثاني

(ظلام الليل)

"لكل شيء عجائبه،

والظلام والصمت لهما عجائبهما أيضاً"

كانت أمي تحاول قدر المستطاع أن تنسني بأن لدي أب، وتقنعني بأنها هي الأم والأب في الوقت ذاته. لكنني كنت أعلم أن على أن أضحي أنا أيضا من أجلها، ومن أجل أخي الصغير. فلقد تعودت أن ألبس نفس الثياب، ولا يهم ما إذا كانت تتوافق جميع هذه الألوان أم لا تتوافق، كل ما كان يهمني هو أن أجعل أمي تدخر الأموال في أمور أهم؛ فهذه الأم لم تكن تعمل عند شركة مثلا أو لم ترث من أحد شيئا، وعائلتنا ببساطتها قد تصبح دون المستوى في يوم من الأيام. لذا اتفقت مع أخي البالغ من العمر السابعة أن نحاول قدر المستطاع أن نلبي احتياجاتنا بأنفسنا، وتكون هذه الاحتياجات في أمور لا

نستطيع العيش بدونها.

أخي كان مختلفا عني تماما كما توقعت؛ فلم يعاني في حياته من أي شيء، ولم يشاهد تلك المناظر المتوحشة التي شاهدتها أنا، والأهم من ذلك أنه لم يتعرف على ظلام الليل الكئيب الذي يمطر كآبة إلى كآبته. لم أجرب قط أن أدخل إلى أي مدرسة، ولم أعلم ما فيها سوى أن أبناء

قريتنا كانوا يخبرونني بأنهم كانوا يذهبون إليها للعب مع بعض الأصدقاء. لم يكن يهمني هذا الأمر كثيرا؛ فعلاقاتي الإجتماعية ضعيفه إلى أبعد الحدود. وأنا سعيدة هكذا، أتعلم من أمي الحياكة والطبخ وأمور المنزل التي من الممكن أن أستفيد منها في حياتي القصيرة القادمة.

حتى لوحاولت أن أبني علاقة إجتماعيا مع إحدى الفتيات في هذه القرية المعتوهة لن أنجح فيها لأنني أتكلم دائما بخوف وقلق وصوتي لا يسمعه إلا أصحاب السمع الضعيف الذين لا يسمعون سوى همسات، نعم فأنا أهمس وهم تعودوا على سماع هذه الهمسات. وفي يوم من الأيام، رجعت أمي إلى البيت خائفة فازداد خوفي وقلقي قبل أن أعلم السبب، فاعتقدت بأنها منزعجة مني وتريد قتلي، فسألتها بصوت خفيف جدا: أمي هل أنتي بخير؟ لما أنت منزعجة هكذا؟

الأم: سماوية، أنا بخير، فقط ادخلي أخاك وحاولي أن تجعليه ينام والآن.

سماوية: سأفعل حالا.

ذهبت إلى الغرفة بعد أن ارتاح بالي على نفسي أو لا ثم على أخي، وجعلته ينام، بعد حكاية قصيرة ساهمت في نومه غفى على إثرها على الفور. ذهبت إلى أمي أتساءل منها ما الذي حدث.

سماوية: أمي هل لي أن اسألك سؤال؟

الأم: أعلم السؤال وجوابه هو أنني رأيت شيئا صعقني.

سماوية: وهل بإمكاني معرفته؟

الأم: نعم يجب أن تعرفيه، والدك قاتل مأجور، ولقد شاهدته منذ بضع دقائق يقتل شخصا وهرب على إثرها على الفور.

سماوية: وهل كنتي تعلمين ذلك من قبل؟

الأم: أعلم أنه يتعاطى المخدرات لكن لم أكن أعلم أنه سفاح.

بعد هذه الكلمات، سمعنا دقات باب عنيفة ارتجف منها بدني، لكن أمي أسرعت إلى فتحه. وإذا به أبي يحاول الدخول وأمي تمنعه، يحاول أن يختبئ من الشرطة، ولكنه لا يعلم أن ظلام الليل ينظر إليه ويبتسم. حاولت أمي منعه ولكنه صفعها على وجهها صفعة نزفت من بعدها دماءً كادت أمي أن تموت غريقة بسببها. بمجرد أن شاهدت هذا القاتل يحاول قتل أمي، ذهبت إليه لأحاول صفعه ولكنه صفعني أنا أيضا صفعة لم أفق بعدها إلا في الصباح الباكر.

***

الفصل الثالث

(معنى الأمل)

"كل ما أنا، وكل ما أريد أن أكونه،
مدينٌ به لأمي"

استيقظت على بكاء أمي وعويلها. ذهبت لأطمئن من وجود أخي في البيت، فوجدته نائمًا على سريره كالورد المزهر. ذهبت إلى أمي وأخبرتها بأنني سأحاول أن أعمل في الطبخ ونكسب قوت يومنا منها، ومن ثم نبني بيتاً جديداً في مكان آخر لا يعلمه أبي -القاتل- حتى نؤمن على حياتنا ومستقبلنا، أو بالأحرى مستقبل زهران. لم تجبني أمي بالرفض، لكن اشترطت عليَّ أن أستمع إلى بعض النصائح التي لطالما كنت أستمتع بسماعها؛ فنصائحها كلها كنت أعمل بها. علمتني على احترام الغير ومساعدة المحتاج وعلى الوفاء. والكثير، أجل الكثير ولا تعجب من أني كنت أطبقها كلها بالحرف الواحد. والآن على استعداد أن أسمع لغيرها وأيضا؛ فهذه المرأة الحكيمة كنز لا يعلم أهميته إلا من تعرف على ظلام الليل فعرف قيمة الحياة.

جلست على الأريكة المكسور جانبها وبدأت أمي بالحديث.

الأم: بنيتي لقد أخبرتك من قبل أن هذه الحياة ممتعة وأنها ملك لك، تتحكمين بها كيفما شئتي، ولكنك الآن على أبواب حياة جديدة، حياة لا يد لك فيها، كل ما تستطيعين فعله إرضاء ربك، فإن رضي عنك رضيت عنك غيوم السماء، فتمطر لك مطرا تنبت منه أشجار الرضا والسعادة، تجني ثماركي منها كما تشائين. إلا شجرة واحدة، هذه الشجرة تنوبين أغصان شجر الصدق والأمانة، تخفي نفسها لكيلا يراها زارعوا الأمل فيقتلعوها من جذورها.

سماوية: وما هي هذه الشجرة يا أمي؟

الأم: هذه شجرة الكذب والنفاق، إياك والاقتراب منها؛ فهي في عينك جميلة وفي أعين الناس شنيعة.

سماوية: ولكنني يا أمي لا أتحدث مع أحد، فكيف لي أن أكذب؟!

الأم: سماوية، حياتك لم تكد تبدأ بعد، سترافقك حكايات كثيرة ومواقف عديدة، ستتعرفين فيها على أشخاص متنوعة وبشخصيات لا

تلائمك، سترغمين على معاملتها. لذا لا يؤذيك من أبدى رأيه فيك بكل قسوة، فطعم العسل مر في فم المريض.

وأنت بمقدورك أن تجذبي من يبغضك فقط بكلامك الحسن وابتسامتك اللطيفة.

سماوية: لكنني لا أجيد فن الكلام!

الأم: عليكِ أن تتعودي، فالحياة عبارة عن تعايش، فينا الغني وفينا الفقير، فينا الطبيب وفينا المربض. لذا احترمي طبيبك قبل أن تحتاجي إليه. ولا تخجلي إذا أصابكِ مكروه أن تكشفيه لمن هو أحق أن يكشف له، فإنه من أخفى مرضه لا دواء له.

سمعت هذه الكلمات في أذني التي بثت في الروح الأمل الذي نسيت معناه منذ زمن بعيد. أحببت هذه الحياة، وعلمت أنها تعطي للناس أشياء وتأخذ أشياء أخرى. استأذنت من والدتي وأخبرتها أنني سأذهب للسوق لأشتري بعض الخضراوات التي أحتاجها لابدأ بتجارة الطعام.

أخذت معي أخي ليساعدني في حمل الأغراض، وما أن رجعنا إلى البيت، وجدنا أمي ملقاة على الأرض! أسرعت إليها أحاول إيقاظها لكن لا جدوى! أمرت أخي بأن ينادي في أهل القرية ليساعدونا.

زهران: يا أهل القرية، أمي بحاجة إلى المساعدة، لقد وجدناها ساقطة على الأرض.

وهو يصرخ بأعلى صوت، وأهل القرية يجتمعون ويسرعون إلى بيته ليحاولوا إنقاذ تلك السيدة المسكينة!

***

الفصل الرابع

(حياة جديدة)

"لأن تحسن الظن فتندم،

خير من أن تسيء الظن فتندم"

بعد أن فحص طبيب القرية أمي، أخبرني بصوت منخفض أنها توفيت. هنا أحسست بأن ضلع من ضلوعي قد انكسر، وأن جزء من قلبي قد انفطر. لم أبكي لأنني أحسست أن قدري معلوم، وأنني لم أكن ابنه هذه الحكيمة، ولا ابنة ذالك القاتل، وإنما ابنة ظلام الليل، الذي لا يدعني أتامل حتى يخبرني بأن الأمل ما هو إلا وهم، وأن عليَّ أن أستعد في كل لحظة سعادة لأي أمر صادم. سار أهالي القرية إلى المقبرة ليدفنوا أم زهران مع باقي الراقدين تحت التراب. وما أن انتهو ا من دفنها، جاء شيخ كبير بوجهه البشوش إلى أخي زهران صاحب السبع سنوات، وقال له: عظم الله أجركم يا بني، مع من تعيش أنت وأختك؟

زهران: لا أحد، فقط أنا وأختي سماوية.

الشيخ: هل ترغبان بالعيش معي أنا وزوجتي وأولادي؟ فنحن على أفضل حال، وخير الناس أنفعهم للناس.

زهران: أنا موافق، ولكن يجب أن آخد الموافقة من أختي سماوية فهي تكبرني سناً.

أتى زهران إليَّ ليسألني ما إذا كنت أو افق أم لا، فأحسست حينها أن هذا الشيخ يريد أن يأخذ بثأره من والدي، فربما والدي قد قتل شخصا يقربه أو أنه أصاب أحد أسرته بسوء، فأراد أن ينتقم منه، فرفضت ذلك وطلبت من زهران العودة معي إلى البيت. رجعنا إلى البيت وتعجب زهران من موقفي هذا.

زهران: لماذا فعلتي هذا؟!

سماوية: إنه ليس من شأنك، أنت لا تعلم شيئا بعد عن هذه الحياة.

وبعد ساعة من الزمن، سمعت طرقات الباب، فخشيت على نفسي وعلى أخي، غير أن لا أحد غيرنا في هذا البيت الموحش.

اعتقدت أو لا أنه والدي، لكن في الحقيقة كان ذلك الشيخ الكبير الذي طلب منا الذهاب معه إلى البيت، ففتحت الباب وأنا متوترة.

الشيخ: كيف حالك يا ابنتي، أنا لم أكن أريد أن أزعجكم أو أن أضايقكم، لكنني أردت المساعدة من دواعي الخير.

سماوية: نعم لكننا لا نعرفك!

الشيخ: أنا لا أسمعك جيدا، هل يمكنك أن ترفعي صوتك قليلا؟

سماوية: لكننا لا نعرفك يا عمي!!

الشيخ: أجل لكنني أعرفكم ولقد كانت أمك امرأة يعرفها الجميع بأخلاقها الحسنة وصفاتها التي تعلمنا منها ومن حكمتها، فمن واجبنا تجاهها بعد وفاتها أن نوفي بحق أو لادها على الأقل.

أحسست ببعض الأمان والراحة وخاصة في وجه ذلك الشيخ الذي لا حول له ولا قوة، فلم أجد منه غير رحمة وحب المساعدة، فوافقت.

جهزت أغراضي وأغراض أخي وسرنا إلى بيت الشيخ. هناك رحبت بنا زوجته الأربعينية، ورحب الأولاد الصغار بزهران الذي كان في

نفس أعمارهم. وما أن رحبوا به، ذهب زهران يلعب معهم بقلب فرح سعيد. لأول وهلة، شاهدت هذا البيت المتواضع بأسرته المتكاتفة قمة في الإبداع. كيف استطاع هذا الرجل المسن أن يبني أسرة كهذه الأسرة

المترابطة! لقد كنت أظن أن أمي هي الوحيدة في العالم التي بإمكانها تربية أبناء بهذا الاحترام وهذا الرقي في التعامل.

لم ألبث دقائق حتى جهزت هذه العجوز الغداء البسيط وجلسوا على الطاولة، ولكن بدون أي شروع في الأكل. لم أفهم لم هذا السكوت وماذا ينتظرون؟! ولكن بعد لحظات طرق أحدهم الباب. من هذا؟! هل هذا هو المنتظر؟! هل انتظروه ليأتي ويقتلني أنا وأخي؟!

***

الفصل الخامس

(شخصية جديدة)

"حاول أن تخصص ساعة من يومك فقط لتسعد فيها شخصا ما وتدخل السرور على قلبه، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم.. حسنه الألباني"

لم يدم ذلك الصمت كثيرا، فبمجرد أن طرق الباب دخل بعدها على الفور. نعم إنه ابنهم البكر الذي يدرس في الجامعة علوم النفس. شاب وسيم ذوشعر ناعم أسود كسواد الظلام، عيناه العسليتان، طويل الهيئة ببدلته السوداء، وذوأخلاق. نعم لم أجلس معه لأحدد ما إذا كان

ذوأخلاق أم لا، لكن بمجرد أن طرق الباب استئذاناً، أرسل إلى عقلي إشارة على أنه يعرف بالأصول والآداب. جاء وجلس معنا على الطاولة بعد أن انتظره أبواه. وبكل سعادة وبدون تضجر بسبب تأخره قالت أمه: حمداً لله على سلامتك يا بني، فلنبدأ على بركة الله. أحسست حينها أني أو د المبيت هنا لبقية حياتي.

توقعت أن يتفاجأ هذا الشاب لوجودي أنا وأخي في هذا البيت، وبالفعل لاحظت عليه بعض علامات الإستفهام على وجهه لكنه لم يسأل والديه أي سؤال. انتهينا من الطعام، وسارت العجوز معي إلى غرفة الأولاد وقالت: هذه ستكون غرفتكم، كنت خائفة من أن أسألها عن أو لادها وأين سيناموا، لذا لم أجبها غير بالقبول. جلست مع نفسي أحدثها إلى متى سأبقى هكذا أتوتر وأخاف في كل صغيرة وكبيرة؟ وفي أمور لا يجب عليَّ أن أخاف فيها. لكني سمعت صوت صديقي الذي يلازمني في حياتي أينما ذهبت، نعم ظلام الليل، الذي أخبرني بأن

توتري وخوفي سيرافقاني مهما فعلت. وأخبرني كذلك بأن أتعود عليهما فهما أصبحا جزءاً من شخصيتي. ولا أنسى ما أخبرني إياه أنه لا يستطيع أن يتخيل كيف ستصبح شخصيتي إذا تخليت عن الخوف والتوتر. أحسست من نبرة صوته أن شيئا ما قد يغير مسيرة حياتي بسبب هاتين الحاستين، ربما بالإيجاب أو بالسلب، لكنني تذكرت حينها ما قالته أمي بأن أعامل الناس بكل إحسان يستطيع جسدي فعله بغض النظر عن شخصيتي. في صباح اليوم الأول في هذا البيت، شعرت براحة نفسية لم أشعر بها من قبل. نظرت إلى أخي بجانبي فلم أجده نائماً، علمت حينها أنني كنت على خطأ عندما وثقت بهذه الأسرة المخادعة. خرجت مسرعة من الغرفة ولكنني لم أجد أحداً في البيت. بدأت بالانهيار، أين أخي؟! خرجت من باب المنزل ذاهبة إلى الحديقة فوجدت الأسرة جالسة على طاولة الحديقة، تحتسي الشاي الساخن، وأخي يلعب مع الأطفال.

حسنا، الآن أخطأت بحقهم أعلم ذلك، لكنني بالتأكيد لن أعتذر منهم؛ لأنني لا أملك الشجاعة الكاملة لأعتذر. ذهبت بتردد إلى مكان جلوسهم.

الشيخ: صباح الخير يا سماوية، كيف أصبحتي؟

سماوية: بخير، هل يمكنني الجلوس؟

الشيخ: أجل بالتأكيد، تفضلي.

العجوز: هلا أضع لك بعض الشاي الساخن؟

سماوية: نعم من فضلك.

وبعد أن شربت الشاي مع الأسرة الكريمة، مع نظرات الخجل التي لم تفارق عيناي، أحسست بشعور غريب يخبرني بأنه الوقت المناسب لأغير من نفسي ولأحاول أتحدث مع أحد الجالسين، فأنا لم أجرب قط أن أكون أو ل المتحدثين. لكن سرعان ما عاد هذا الشعور إلى عالم غريب هجرته الأحلام.

العجوز: هل لديك أي حالة في العيادة غدا يا أنس؟

أنس: لا يا أمي، غدا سآخده إجازة؛ لأنني أجهز أو راق مهمة لمشروع التخرج من الجامعة.

العجوز: هل تعتقد نفسك جاهز عملياً لتكون طبيب نفسي؟! فأنا أعلم أن التعلم على المرضى أفضل من التعلم من الكتب، خصوصا لمن يدرس مجال العلوم مثلك.

أنس: لا تقلقي يا أمي، كل شيء سيكون على ما يرام.

***

الفصل السادس

(سكيزوفرينيا)

"من المهم أن تعرف ما هي شخصية المريض، أكثر من أن تعرف ما هو المرض الذي يحمله"

إنه الليل، بحثت فيه عن صديقي فلم أجده. ناديته لأساله عن أمر مهم، لكنه لم يجبني. كنت أريد أن آخذ رأيه في أن أذهب إلى أنس وأخبره عن حياتي الكئيبة وأجد لها حلا، فربما يعلم أي شيء بصفته طبيب نفسي سأحاول أخذ القرار بنفسي. وأعتقد بحاستي السادسة أنه سيساعدني؛ فقصتي ليست معقدة. وربما حتى بعد أن أشرح له وضعي يخبرني بعلاج سريع وبسيط. فلما كل هذا التوتر! حسنا سأحاول أن أكلمه في الصباح الباكر.

جاء الصباح، وغاب الليل بظلامه. وأشرقت الشمس بصفائها وبشاشة أشعتها. ذهبت إلى أنس وطرقت عليه الباب كما تعلمت ودخلت.

أنس: سماوية، تفضلي.

كيف عرف اسمي؟! أنا لم أتحدث معه من قبل.

أنس: لقد أخبرني أبي عن قصتك وما حدث معك، لوبإمكاني مساعدتك بأي شيء فأنا جاهز.

سماوية: حقاً؟ في الواقع لقد أتيت إليك كحاله مرضية.

أنس: حسنا لا بأس، أخبريني بما تشعرين به.

سماوية: في الحقيقة أعاني من اكتئاب شديد يحيطني من كل مكان، وهذا كل ما في الأمر.

أنس: سماوية، أنا الآن طبيب، أعني يجب أن تخبريني كل شيء بالتفصيل حتى التفصيل الممل؛ ليتسنى لي معالجتك. اعتبريني مرآتك

سماوية: حسنا، أنا ليس لدي أي علاقة اجتماعية فأنا أتوتر بشدة عند الحديث مع أي أحد. في الواقع ليس لدي ثقة في أحد، أشعر أن الأحداث التي تحدث في الواقع ما هي إلا رسائل مخيفة ترسل من أجلي، أو من أجل إخافتي. أشعر دائما أن كل من في الكون مخلوق فقط لتدميري وإلحاق الأذى بي.

أنس: وهل تتخيلين أمورًا أو تسمعين أمورًا لا يسمعها أو يراها أحد؟

سماوية: أجل، في الواقع أسمع ظلام الليل يتحدث معي كل يوم، وأرى

ابتسامته وبكائه أمام عيني. وأحيانا أتخيل وجود أمي بجانبي تنصحني ببعض الأمور التي أعجز عن تأديتها بنفسي.

وبعد أن قصصت عليه كل قصتي بالتفصيل الممل.

أنس:، سماوية، بصفتي طبيب نفسي فإن أهم ما في مهنتي هي المصداقية مع المريض، الذي أصفه دائما -الزائر- وليس المريض. فأنا من وحي ما قلتيه أرى أنك يجب أن تتعالجي وفي أسرع وقت.

سماوية: وما المرض الذي يجب أن أتعالج منه؟

أنس: في الحقيقة هو ليس بمرض، هو حالة مرضية اسمها -سكيزوفرينيا- أعني هنالك اضطراب بسيط في عقلك، لكن لا يؤثر أبداً عليكي، لذا لا بد أن نعالجه حتى لا يتضاعف.

سماوية: وما قد يحدث إذا تضاعف؟

أنس: قد ينتج عنه الشيزوفرينيا -أي تعدد الشخصيات-، أو الإكتئاب

والقلق الشديدين. علما أن مرضك يصاب به الرجال

أكثر من النساء. ولكن لحسن الحظ فإنني ألاحظ أنك بكامل صحتك إلا البضع. لذا أخبرتك بمرضك وتعاملت معك على أساس أنك إنسان طبيعي بكامل صحته التي تمتلكينها.

سماوية: وما المطلوب مني إذن؟

أنس: المطلوب أن تأخذي هذه الأدوية التي سأجلبها لك غداً، وتحاولي الإنغماس مع الناس، وتعملي حتى تحاولي أن تثقي في الناس. وأنا موجود في أي وقت أردتي أن تتحدثي فيه مع أي أحد.

سماوية: أشكرك إلى اللقاء

أنس: لا لا، عودي، من الآن يجب أن تعالجي نفسك بنفسك، ليس غدا، فلا ترحلي بهذا الخجل. اشكريني بأسلوب آخر من فضلك

سماوية: حسنا يا أنس، أشكرك على مساعدتك إلى اللقاء غدا.

الفصل السابع

(فضول شريف)

"الأشخاص الغامضون دائماً ما يكونوا محطة فضول الآخرين، لأسباب خاصة"

أنس: ها قد جلبت لك الأدوية.

سماوية: أشكرك على مساعدتك يا أنس.

بدأت بأخذ الأدوية باستمرار وبدون توقف، وبدأت الحياة بمصاحبتي. حياة سعيدة وكلها أمل، أحببت كل لحظة أعيشها، خصوصا في هذا البيت السعيد، الذي يبث في الحياة حياة جديدة، مملوءة بالطاقة الإيجابية. بدأت أشارك كل تفاصيلها مع أنس الذي انتابني شعور لأول مرة أشعر أنني فتاة لها أحاسيس تفوق أي أحد، وكأن القدر الذي بات يلاحقني كقدر مظلم أصابته غيبوبة لم يفق بعدها، ولعله لا يفق.

نظرات عيون أنس كانت تداعب عينيّ. كان هو من ينسيني كل ما يزعجني، وأنا كنت أتحدث معه بكل عفوية عن دونه من باقي البشر. في يوم من هذه الأيام طلب مني أنس أن أقضي معه الليلة في أحد المقاهي القريبة من قريتنا لنحتسي شيئا يريح فكرنا، ونتحدث قليلا مع بعضنا البعض، فقبلت ذلك. وصلنا إلى المقهى البسيط بإضاءته الخافتة، وجلسنا على إحدى الطاولات.

أنس: ماذا تودين أن تشربي؟

سماوية: سآخذ عصير الليمون، فهو مريح للأعصاب.

شربنا العصير وتحدثنا قليلا، وكنت ألاحظ بعضا من الحماس في عيونه، والسبب أنه على أبواب التخرج من الجامعة. كان

يخبرني طوال الوقت عنها وعن قلبه الفرح، وأنا أيضا أحسست بأن من واجبي مشاركته هذه الفرحة. رجعنا إلى البيت وكان الجميع قد نام. دخلت غرفتي فوجدت أخي قد نام هو أيضا. ما هذا! نسيت حقيبتي في المقهى! أسرعت بالخروج من البيت لكن بمجرد وصولي إلى الصالة وجدت الحقيبة على الأريكة.

وأنا في طريقي إلى غرفتي سمعت نقاشا بين أنس ووالديه. لا يهمني أنا لا أتنصت على أحد. لكن فضولي بدأ يقطع عقلي وتفكيري، اقتربت من باب الغرفة وسمعت هذا النقاش.

أنس: هي ليست مريضة وإنما لديها اضطراب بسيط، سأعالجه بكل تأكيد.

الشيخ: كما تريد، لكن يا بني عليك أن تكون مسؤولاً عن قراراتك المستقبلية.

أنس: أنا أعلم ذلك، سماوية كنز يمشي على الأرض، وأنا كما قلت أنني أحببتها لشخصها وليست لجمالها أو لأي شيء آخر، الفتاة صاحبة أخلاق رفيعة وابنة حكيمة فلما لا أتزوجها.

يتزوجني! أنا لا أصدق! لم أنا، أنا لم ألفِت نظره بأي شيء. ذهبت إلى غرفتي وأنا مصدومة من الذي سمعته. أنا لم أقل إنني أرفض ذلك، لكن لم يخطر ببالي أياً من هذا القبيل. أعلم أنها نعمة لأي أحد أن يتزوج هذا الشاب الوسيم بنسبهِ وأصلهِ الطيبين، لكن

هذا بالفعل أمر صادم. حاولت النوم لكن لم أنم إلا وعيناي مفتوحتان.

في اليوم التالي، استيقظت ظهراً بعد التفكير العميق الذي منعني من النوم، خرجت من غرفتي وأنا خائفة من أن يراني أنس، لكن حدث ما توقعته.

أنس: صباح الخير يا سماوية

سماوية: صباح الخير، إلى اللقاء يا أنس

أنس: ما بك يا سماوية، ألا تودين الحديث معي؟

سماوية: لا، أعني نعم، لا أو د الحديث إلى اللقاء.

ما هذا الشعور السيء، أنا حمقاء، وفضولي أحمق مثلي، ما كان يجب أن أسمع الذي سمعته، لا لا بل كان يجب، لأنني لو لم أسمعه لكان هو من أخبرني إياه وبدون أن أعرف، عندها ستكون الصدمة الحقيقية. أكلت شيئا ما يسد جوعي وخرجت إلى الحديقة لأتنفس الهو اء النقي. ما هذا الذي أراه! لما يقف أخي مع أنس؟ عما يتحدثان؟ يا إلهي، حسنا لن أفكر

في شيء فقط سأتنفس هذا الهو اء المريح، لا لا أستطيع سأذهب وأسمع حديثهما.

***

الفصل الثامن

(حادثة من طعم جديد)

"لا أذكر أن القدر قد أعطاني ذات يوم زهرة إلا

ووجدت فيها أشواكا صغيرة، لم أكن أعلم ما سرها، لكنني علمت اليوم أن كل شوكة بحد ذاتها كانت درساً للمستقبل "

أنس: زهران هلا تود الخروج معي لنتجول حول القرية؟

زهران: نعم أو د بالتأكيد

وصلت إليهما في اللحظة الأخيرة، لكن فات الأوان، لقد انتهو ا من حديثهم. يا للهو ل، سأتحدث مع أخي.

سماوية: زهران، تعال إلى هنا

زهران: ما بك يا أختي؟!

سماوية: زهران في الواقع.. أنا لا أرفض ما قاله لك أنس لكن كل ما في الأمر أنني أحتاج إلى وقت.

زهران: إلى وقت لماذا؟

سماوية: للذي أخبرك إياه

زهران: هاها أختي لا تخافي أنا وافقت وكل شيء سيكون على ما يرام.

سماوية: لماذا توافق بدون أن تسألني يا أخي، لقد كنت أشاركك في كل شي، افترض أنني لن أو افق.

زهران: ولماذا لن توافقي أنا لا أفهم، سنتجول في القرية ومن ثم نأتي فلما كل هذا التوتر؟!

سماوية: ستتجولون! فقط! لا شيء أخر؟

زهران: نعم هذا مافي الأمر، هيا اذهبي إلى غرفتك.

عدت إلى غرفتي بعد شهيق وزفير عميقين أراحا قلبي. لكن قلبي لم يرتح كثيرا، فبعد ساعة من الزمن جاء إليَّ أخي وعرض عليَّ طلب أنس الذي أخبره إياه أثناء تجولهما، فما كان مني غير القبول بإبتسامتي البريئة. تزوجت أنس بعد أسبوع من ذلك القرار، وبعد أسبوعان سيتخرج من الجامعة، وكلانا سعيد، فأنا سأكون بجانبه أثناء تخرجه.

أقمنا في منزل صغير كان والد أنس قد جهزه له من قبل. منزل بسيط لكن يكفينا نحن الإثنين. هذه أو ل مرة أترك فيها أخي؛ فهو قد كبر

وعرف قيمة نفسه، ويستطيع التمييز بين الخطأ من الصواب. عمره الآن السابعة عشر عاماً وأنا أكبره بعشر سنين. طلب مني أخي أن يدخل بمدرسة للناشئين ليقضي وقته فيها بدلاً من جلوسه في البيت، علماً أن أخوة أنس سيدخلوها أيضا. دخل زهران هذه المدرسة التي لم أكن مقتنعة إلى حد ما بها، لكن من أقنعني بها هو زوجي. مكث أخي ما يقارب السنة والنصف في هذه المدرسة التي تبعد عن منزلي الساعتين تقريبا. كنا أنا وزوجي نزور العائلة ثلاث مرات في الأسبوع بحكم أن أنس لم يجد أي عمل في هذه القرية، فكان يقضي معظم وقته بالبحث عن عمل مرموق. أخبرني أنس أنه وجد عملا مناسباً له وسيبدأ فيه الشهر القادم.

بدأت أشعر بإحساس غريب كلما أزور أخي، إحساس أنه قد تغير ولم يعد مثل ما كان عليه، لا أعلم، ربما شعور جديد قد يكون

إثر بعدي عنه، لكن لا أعلم، فخاستي السادسة لا تخطئ. اكتشفت ما وراء هذا الشعور حينما كان أو ل أيام يذهب فيه زوجي للعمل، وسمعت طرقات الباب، من هناك؟ !

سماوية: أهلا بك يا أخي، لما لم تخبرني بقدومك.

زهران: أريد بعضاً من المال

سماوية: حسنا سأعطيك لكن لنجلس قليلا

زهران: قلت لك أريد المال حالاً

وضربني على وجهي حتى سقطت على الأرض. لا أصدق هل أنت زهران؟! بدأت يداي ترتجفان، وصوتي ينقطع كلما أردت أن أتكلم.

سماوية: كم تريد؟

زهران: أعطني الفاً

سماوية: لكن هذا مبلغ كبير

ضربني مرة أخرى.

زهران: قلت لك أعطيني

لم أتحمل فأعطيته ما طلب مني وغادر على إثرها على الفور.

لحظات صمت دامت لساعات، أين أخي زهران؟ لا لا أقصد المتوحش الذي ضربني، أقصد أخي الذي ربيته. أسرعت إلى الخارج لأبحث عن أي مسكن لهذه الكدمات قبل أن يأتي زوجي.

وأنا في الطريق وجدت شيئا ما صعقني. رجلان كانا يهمسان إلى بعضهما البعض، بعدها سرق أحدهما حقيبة امرأة كبيرة في السن، والرجل الآخر صرخ بالناس: إنه لص.. إنه لص امسكوا به.

لم أفهم ما الذي حدث، العجيب في ذلك أن بعض الناس كانوا يصورون ما حدث، ولم أجد أي أحد قام بمساعدة تلك العجوز. ما زالت الصدمة وذلك المشهد أمام عيناي، لكن أكملت طريقي لأجد المسكن وبالفعل وجدته ووضعته على كدمات وجهي التي تؤذيني. وأنا

في طريق العودة وجدت ذلك المشهد ما زال قائما إلى الآن. أصابني الفضول لأرى النهاية. فكان كل ما في الأمر أن أتت الشرطة وحققت مع العجوز ومع بعض الأشخاص، المشكلة أن تلك العجوز أمرت الشرطة بمكافئة الرجل الذي نادى في الناس، والذي في الحقيقة هو صديق ذلك اللص. تعجبت كثيرا من الذي رأيته. كافأت الشرطة ذلك الرجل وبعدها رحل، لكنني لم أرحل. فبعد دقائق وجدت تلك العجوز تكلم اللص الذي سرقها وكأنهم أصدقاء. الأكثر عجباً أن الشرطة بعدما قبضت على اللص وبعد أن كافئت الرجل، لم تسجن اللص وإنما حاورته قليلا ثم أخلت سبيله في نفس المكان. أعلم أنه لا يهمني كل هذا الهراء، لكنني تذكرت أن أمي أخبرتني بأن الكذب لا ينجي صاحبه، فكيف لهؤلاء المدعين الكاذبين أن ينجوبفعلتهم ولم يحاسَبوا! بل كوفِئوا من قبل الشرطة. وأنا بخوفي وتوتري لم أذهب إليهم وأخبرهم بالذي رأيته، والذي أعلم لوذهبت وأخبرتهم بالحقيقة لن يكافئوني مهما فعلت؛ فقدري معلوم كما قلت. والسبب وراء

ذلك هو القدر المظلم الذي أحاول جاهدة على نسيانه، وأبحث عن أي مخبأ يحتويني. هذا القدر الذي كلما أهرب منه، يرسل لي ظله ليلحق بي ويمسكني بيديه السوداوتين ليعيدني إليه.

ذلك القدر الذي يجبرني على قبوله، ويرفض أي قدر غيره. لكن ومع هذا سأتحلى بالصبر، فلقد أخبرتني أمي من قبل أن أرضى بما قسمه ربي، والقدر هو جزء صغير جدا مما قسمه. وإحساسي يقول" لازلت أشعر وأحس أن هنالك أمراً ما ينتظرك يا فتاة". فلن أكتئب، وسأحاول جاهدة على أن أكمل حياتي وأسبح في بحر هذه الأحاسيس معلقة بهذا القدر، فلعلي أجد سمكة في هذا البحر الواسع ترافقني درب النبلاء.

***

الفصل التاسع

(لن تكوني بخير)

"أحيانا طيبتنا المبالغ بها تهو ي بنا إلى عالم متوحش
يأكل فيه القوي الضعيف، وأحيانا أخرى سوء تصرفنا يفتك بنا"

رجعت إلى البيت فوجدت زوجي ينتظرني أمامه.

أنس: أين كنتي طوال هذا الوقت؟ لقد قلقت عليكي

سماوية: أنا بخير لقد تجولت في القرية

أنس: تجولتي! لما لم تخبريني؟ وما هذه الكدمات التي على وجهك؟!

سماوية: لا شيء.

أنس: لا شيء! أخبريني من فعل هذا بك هيا.

لم أتعود على أن أخبئ أي شيء على أنس لذا أخبرته بكل شيء.

سماوية: سأخبرك لكن أرجوك لا تنزعج، لقد ضربني أخي زهران

أنس: زهران! مستحيل، أنا لا أصدق، وماذا فعلتي له حتى يضربك هذا الضرب المبرح؟!

سماوية: لا أعلم ليس لدي أي فكرة، لكن كل ما أعرفه أنه طلب مني ألفًا فأعطيته.

أنس: ما هذا الذي أسمعه! أنا لابد أن أعرف ما وراء هذا الشاب. وأنت إن طلب منك نقودا لا تعطيه، سمعتي؟

وبعد أيام على هذه الواقعة، كان أنس في طريقه إلى عمله، فرأى زهران في اتجاهه إلى بيتي، لكن زهران لم يره، فقرر أنس أن يتبعه ويرى ما الذي سيفعله. ما شاهده كان صادماً. فبعد أن خرج من بيتي اتجه إلى مجموعة من الشباب الذين يبدو عليهم الطيش، بمجرد أن أعطاهم الأموال، أخذ منهم كيس المخدرات وشربها على الفور. كان هذا صاعقة مميتة لأنس؛ فهذا الشاب قد تربى على التربية السليمة، كيف له بغمضة عين أن يذهب مع ظلام الليل إلى عالم قد بات من عوالم الخراب المهترئ الذي يهو ي بصاحبه إلى الأجل القريب له ولعائلته المسكينة. أخبر أنس أصدقاءه في العمل أنه سيتأخر ثم رجع إلى بيته.

سماوية: أنس، ما الذي جاء بك إلى هنا؟

أنس: لماذا أتى زهران يا سماوية؟

سماوية: جاء لنفس السبب الذي جاء به من قبل

أنس: وهل أعطيته؟

سماوية: نعم، فلقد خفت على نفسي

أنس: سماوية، هذه آخر مرة أحذرك، إن فعلتي هذا مرة أخرى فلن تكوني بخير.

اعتبرت نفسي لم أسمع أي شيء سوى آخر جملة "لن تكوني بخير". فلم أسمعها من قبل من أي أحد. كنت أتخيل أن الواقع هو من يهددني بهذه الجملة، ولكن لم أكن أعلم أنها قد تأتي من أقرب الناس لي. باتت هذه الجملة تلاحقني كطفلة هاربة من عالم الأحلام، ذاهبة إلى عالم الأموات باحثة عن أمي فأخبرها بما يجري من حولي.

في اليوم التالي، استيقظت على هطول المطر وصوت الرعد الذي منعني من سماع صوت طرقات الباب العنيفة، ذهبت إلى الباب لأرى من القادم وإذا به أخي زهران.

يا إلهي، ما الحل؟ اتصلت بأنس لأرى ما إن كان في العمل أم في الطريق، فأخبرني بأنه في العمل. عندها فتحت الباب لأخي وكالعادة أعطيته الأموال وغادر. الساعة الخامسة، السادسة، السابعة ولم يأتي زوجي. إن عمله ينتهي الساعة الرابعة عصرا..

***

الفصل العاشر

(نهاية بلا عنوان)

"لا تندم أبدا على الماضي، فلوكان جيدا فهذا رائع، ولوكان سيئا فهذه خبرة"

إنها الساعة السابعة والنصف، وأنا أتوتر من لا شيء، كيف لا شيء وأنا كنت حمقاء عندما أعطيته الأموال. أنا فعلا أعرف جيداً ما هو الغباء، فأنا أدرس في مدارسه. أنا متأكدة من أن زوجي سيذبحني حين يأتي. ها قد أتى.

سماوية: حمدا لله على سلامتك. لقد انشغل بالي عليك.

لكنه لم يجبني. قتلني هذا السكوت، وكأنه أطلق عليَّ نار بصمته.

سماوية: هلا أحضر لك الغداء؟

أنس: هل أتى زهران هنا اليوم؟

سماوية: نعم لقد أتى.

أنس: وهل أعطيته أي شيء؟

في الواقع كنت سأخبره بالحقيقة، لكنني تذكرت أن الكذب نجا اللصوص الثلاثة، بل علاوة على ذلك الكذب كافأهم. فقلت له: لا لم أعطه أي شيء.

أنس: حسنا، أنا ذاهب لأنام.

الحمد لله، لقد نجوت بأعجوبة، لكن في المرة القادمة لن أعطي زهران الأموال، فأنا لن أكذب مرة أخرى. في الصباح الباكر بدأت أحاول إيقاظ زوجي للذهاب للعمل لكنه أخبرني بأنه لن يذهب وسيقضي اليوم في المنزل.

مضى اليوم بسلام، وبقلة كلام، فلم أره سوى على كتابه. في تمام الساعة الثامنة، جاء أنس وقال لي.

أنس: لما لم يأتي زهران اليوم كما أتى البارحة؟

سماوية: لكنه لم يأتي البارحة.

أنس: لقد تزوجتك لأخلاقك، ولتربيتك الحسنة التي تشبه تربيتي، لكنني لم أكن أتوقع أنك من الممكن أن تكذبي عليَّ ولومرة في حياتي. أنت كذبتي عليَّ مرتان، ولقد حذرتك من قبل من ذلك، وأخوكي يأخذ الأموال لشراء المخدرات، أي أنك أنت من تؤذيه وكأنك تقولي له "خذ الأموال ومت بعيداً عني".

بدأ عقلي بمخادعتي، بدأ قلبي بمبايعتي، بدأت أتوهم كل شيء في لحظة واحدة، بدأت أتخيل أمي وأبي ينظرون إلي، أبي يبتسم لي وأمي تبكي علي. أنظر إلى زوجي يصرخ وأنا لا أسمع أي صوت، أنظر إلى ظلام الليل من النافذة وهو يكهكه، فما كان مني غير أن أقول.

سماوية: أنا لم أكذب

أراني أنس فيديو وأنا أعطي زهران الأموال، فكان قد صورنا بكاميرته التي وضعها في إحدى الأماكن في البيت ليراقبني.

أنس: هل لديك أي تبرير؟

ما هذا!! هل القدر دائما ضدي؟، لماذا لم ينجني الكذب؟، أم أنه القدر هو من أجبره على ذلك؟

سماوية: أنس، سامحني أرجوك، لقد اختلطت عندي شجرة الكذب مع شجرات الصدق والأمانة، فكانت في عيني جميلة، ولكن أعدك بأن ذلك لن يتكرر.

أنس: سماوية، أنت طالق. طالق بالثلاث.

لم أسمع هل يمكنك أن تعيد؟!

أنس: أنت إنسانة أنانية، ولقد ظهرتي على حقيقتك يا مخادعة، ولا أريد أن أراك.

ما الذي سمعته؟، لا، أنا لا أحد يشتريني ثم يبيعني، أنا سأنتقم منك.

بدأت بالإنهيار، كسرت كل ما أجده أمامي، أغلقت باب البيت والنوافذ، الهدوء هجرني، والغضب امتلكني. أنا لن أتركك تذهب يا قاسي القلب، أنت كاذب وكلكم كاذبون، أخي أنا من ربيته، (وزوجي

يحاول تهدئتي) كسرت زجاج النافذة، وأخذت قطعة كبيرة منها وكسرتها على رأسه حتى وقع على الأرض. "انهض إنك لن تخدعني"، وهو جالس على الأرض، أخذت زجاجا وطعنته بها في بطنه عدة طعنات متتالية وفي أماكن مختلفة، حتى سقط غريقا في دمائه. ماذا فعلت! من الذي قتل زوجي! بدأت أبكي على زوجي وأنا جالسة بجانبه على الأرض، اتصلت بأهله.

الشيخ: كيف حالك يا سماوية وكيف حال ابني أنس؟

سماوية: أنس يموت يا عمي، تعالوا أنقذونا

قدم الشيخ والعجوز إلى بيتنا فوجدوا أنس مقتولا على الأرض. شاهدوا هذا البيت المهدم، بنافذته المكسورة، أخذوه ليعالجوه لكن ظلام الليل كان أسرع منهم. بالتأكيد بدأوا بالتحقيق معي وكأن لي علاقة بمقتله لكنني أجبتهم بالنفي. أدويتي نفذت، طاقتي قلت، سعادتي ماتت، كآبتي جاءت، عاد صديقي ظلام الليل، رجعت الفتاة الميؤوس منها. الشرطة جاءت لتحقق في أمر مقتل زوجي، فوجدوا الكاميرا التي

وضعها زوجي. شاهدوا ما صوّر فيها فوجدوا مشاهد مقتل زوجي موجودة عليها، فأمروا بالقبض علي.

نعم لقد أصبحت نسخة طبق الأصل عن أبي، لم أحزن على نفسي كثيرا، كل ما أحزنني دعوات الشيخ والعجوز عليَّ بالبؤس والشقاء طوال حياتي، اللتان تعودت عليهما، وكأني خذلتهما، بل بالفعل خذلتهما. دخلت مشفى الأمراض النفسية التي تمنيت لوأن زوجي هو من يعالجني فيها. رجعت وحيدة، لا أحد يسأل عني، لا أعرف أي شيء عن أي أحد. قرأت الجريدة عن خبر وفاة زوجي أو بالأحرى خبر مقتله المروع، وتحته خبر أو ل مسلسل يصور في القرية، والمشاهد التي شاهدتها عن اللصوص الثلاثة كانت مشاهد من المسلسل القادم، ولم ينج أحداً بالكذب كما اعتقدت. وتذكرت كلام أمي حينما قالت" أن شجرة الكذب تكون في عيني جميلة وفي عيون الناس شنيعة".

لقد عشت حياتي التي أخبرتني عنها أمي، عشت تفاصيلها بحلوها ومرها، لفترة أحببت الحياة وندمت على كل لحظة عشتها حزينة، لكن أنا أيضا من كره الحياة ورآها بشعة.

لقد عانيت في حياتي لأصل لحلم كان يراودني منذ سنوات، وعلمت حينها أن النجاح لا يأتي لشخص بمجرد أنه انتظره ليأتي إليه، بل يأتي بعد صبر وتعب. وأن الفاشلين هم الذين يقولون إن النجاح هو مجرد عملية حظ، ولكني تخليت عن حلمي بلحظة أو بالأصح بكذبة صغيرة تطورت إلى كذبات صغيرة بعدها.

إن ذلك القدر الذي كان يلاحقني ما هو إلا عالم جديد مملوء بالدروس، عالم جميل بمغامراته المشوقة. لم يكن أبداً مظلم، بل أنا من رأيته مظلم. ولوعلم الانسان قدره لما تضجر ولا يأس من الحياة المليئة بالأمور الممتعة. إنه هاتف لي؟ حسنا قادمة. سأذهب لأرد على الهاتف ومن ثم أروي لكم قصتي.

سماوية: ألومن معي؟ ماذا؟! أخي مات! بجرعة زائدة من الحشيش!

لم أستعبد هذا الشيء، وحتى لواستبعدته فهو لا يهمني، لقد نسيت أخي منذ زمن طويل، منذ سنتين تقريبا. لكن الآن عرفت ما هو الصوت الذي سمعته عند ولادة أخي، والذي جعلني أطلق عليه اسم زهران. فلقد مر في حياتي زهو ر كثيرة لكن لم يؤثر في حياتي أحد قط مثلما أثر عليَّ هذان الزهران، أخي وزوجي. فلقد كانا زهران ولكنهما ذبلا لأنني أنا من لم أرويهما وتركتهما يذهبا.

هذا هو الواقع، لكنه واقع له شيفرته الخاصة، ابحث عنها تُفتح لك أبواب الحياة.

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع